

الفلسفة الاجتماعية للمافيا الإيطالية

أ. أحسن عمروش

أستاذ مساعد " أ "

كلية الحقوق و العلوم السياسية- جامعة خميس مليانة، عين الدفلى (الجزائر)

مقدمة

تعد المافيا الإيطالية من أكثر الأجهزة الإجرامية المعقدة للغاية في العالم خاصة و أنها دججت الجريمة مع المجتمع الإيطالي و أصبحت جزء لا يتجزأ منه ، و تحولت بذلك إلى تراث اجتماعي إيطالي ، بالإضافة إلى ذلك فقد كانت بيئة المجتمع الإيطالي ، الأساس لتنمية المافيا من خلال التخلف الاجتماعي و الثقافي و عجز الدولة عن ضمان الحماية الفعالة للأشخاص و ممتلكاتهم وانعدام سلطة هرمية واضحة بالإضافة إلى انتشار النزعة الفردية و التجزئة وعدم التماسك، و انعدام الموقف المشترك والتعاون وعدم وجود شعور بالتضامن الجماعي و التوزيع غير المتكافئ للثروة وعدم وجود مفهوم المساواة في الحقوق بين الجميع ، وهيمنة السلطة الشخصية .

كما أصبحت المافيا جزءا أساسيا من التركيبة الاجتماعية الإيطالية في وقت مبكر 1800 - 1900، و هي التي تعايشت مع المجتمع والقوانين الرسمية ، على عكس أشكال الإجرام البدائية، كما أن المافيا لم تحاول تبديل المجتمع ، خلافا للثورات الأخرى بل تكاملت مع المجتمع نفسه. وأصبحت المافيا ضرورة في المجتمع الإيطالي ومن الصعب التخلص منها ما دام أنها من المعتقدات الثقافية ، كما أصبحت قادرة على التأثير في سلوك الأفراد و السلطة من خلال نظام قوي للمعتقدات و لهذه الأسباب و غيرها حاولنا من خلال الموضوع المعنون

ب : الفلسفة الاجتماعية للمافيا الإيطالية إبراز أهم النقاط الأساسية التي جعلت المافيا الإيطالية تتميز بنوع خاص من الفلسفة الإجرامية في ظل المجتمع الإيطالي و تجاوزها لسلطتي العرف و القانون و إنشائها لأقوى و أهم المعتقدات والقيم و العادات الإيطالية ألا و هي المافيا الإيطالية، وسوف أدرس الموضوع من خلال النقاط التالية:

1- الأصول الاجتماعية للمافيا الإيطالية.

- 1-1- فلسفة التراث الإيطالي .
- 2-1- فلسفة التاريخ الاجتماعي .
- 3-1- خصائص البنية الاجتماعية في إيطاليا .

2- المبادئ الاجتماعية للمافيا الإيطالية.

- 1-2- مسألة الضبط الاجتماعي للمافيا .
- 2-2- مسألة الاغتيالات.
- 3-2- الأسرة.
- 4-2- رجل الشرف.
- 5-2- مسألة التجنيد.
- 6-2- التنظيم الداخلي للمافيا .
- 7-2- صناعة الحماية.

3- منظمات المافيا الرئيسية في إيطاليا .

- 1-3- منظمة الكوزا نوسترا Cosa Nostra
- 2-3- منظمة لاستيدا LA STIDDA
- 3-3- منظمة ندرانجيتا Ndrangheta
- 4-3- منظمة ساكرا كورونا يونيتا Sacra Corona Unita
- 5-3- منظمة الكامورا Camorra

1 / الأصول الاجتماعية للمافيا الإيطالية:

بإعطاء تعريف للجريمة، فهي ظاهرة اجتماعية تظهر نتيجة مجموعة من الظروف و المتغيرات الاقتصادية و الثقافية و السياسية، و على هذا الأساس لا يمكن إغفال دور المؤثرات الموجودة داخل المحيط الاجتماعي في التأثير في سلوكيات الأفراد و الجماعات، لدفعها لسلوك طرق غير شرعية و خارج الأطر القانونية ، و مع مرور الزمن باتت الظاهرة الإجرامية في بعض الدول بصمة مميزة لمجتمعها نتيجة خصوصية التاريخ و المجتمع، مما كون فلسفة للتفكير الإجرامي صعب بموجبها لسلطات إنفاذ القانون اتخاذ التدابير، و الإجراءات اللازمة لمواجهتها و الحد منها، لأنها باتت جزءا من النسيج الاجتماعي.

1-1 - فلسفة التراث الإيطالي:

المافيا هي جزء من التراث الاجتماعي و الثقافي الإيطالي مثلما قال أحد الساسة الأوربيين: "المافيا موجودة دائما وستظل موجودة دائما، يجب علينا أن نتعلم كيفية التعايش معها، حتى في الاتحاد الأوروبي" خاصة أن الذين يعملون فيها يسمونها (لا كوزا نوسترا) (شأن خاص بنا) أي: لا يحق للآخرين أن يعرفوه (**our thing**) (1) أو "هذا الشيء من جانبنا" (2) ، بالإضافة إلى أن المافيا هي فلسفة حياة (**philosophy of life**) و تعمل على رفع الروح المعنوية للقانون (3)

قال قاموس انجليزي إن أصل الكلمة عربي والكلمة بالايطالية هي «مافوسو». ويرجح إن أصلها هو الكلمة العربية «مرفوض» (إشارة إلى التمرد)، أو (مراوغ)، وذلك منذ قبل ألف سنة، عندما وصل المسلمون إلى جنوب مالطا، وصقلية.

ويقال إن أصل الكلمة هو أنه خلال احتلال فرنسا لجزء من إيطاليا في القرن الثالث عشر، خطف جنود فرنسيون عروسا إيطالية ليلة زفافها، واغتصبوها، وقتلوا (سنة 1282) وخرجت والدتها تبكي وتصرخ، في منتصف الليل، تطلب الانتقام لشرف ابنتها وتنادي: «مورتا الا فرانسيا اتاليا انيليا» " **morte alla français , Italie anela** " (موت الفرنسيين هو هدف الإيطاليين)، وصارت الحروف الخمسة الأولى من العبارة كلمة «مافيا».

قال **دومينيكو أيروما**، مؤلف كتاب «المافيا»: أنها «شبكة عصابات يحكمها قسم أوميرتا» (المحافظة على السر، وعدم إبلاغ الشرطة بأي شيء) ، لكن، قال باولو بيزينو، مؤلف كتاب آخر اسمه أيضا «المافيا» أنها: «لا تخرق القانون، لكنها تملأ الفراغ عندما لا يوجد قانون، وتخدم المواطنين عندما لا تخدمهم حكومتهم».

وقال **جيوسيبي بيتري**، أديب إيطالي، كتب «ثقافات صقلية»، وتوفي سنة 1916: «المافيا ضمير عقل الإنسان إنها رمز قوة الفرد، ووسيلته لحسم كل مواجهة: مالية، ومادية، وفكرية» ويعتبر جيوسيبي بيتري من أهم فلاسفة إيطاليا قبل مائة سنة لهذا، يبدو أن المافيا ، في الثقافة الإيطالية ، فلسفة قبل أن تكون إرهابا، وقانونا قبل أن تكون خروجا عن القانون، وحكومة قبل أن تكون تمردا على الحكومة.

وقال **كالوجيرو فيزيني**، من عائلة «فيزيني»، واحدة من أشهر عصابات «المافيا» في جزيرة صقلية (توفي سنة 1954): «نحن لسنا مجرمين. نحن مع الحق، ندافع عن حقوق الناس، ونحبهم ، وقال لجريدة «كوريير ديلا سيرا»: «لا بد أن يكون في كل مدينة مجموعة من الناس أكثر حرصا من غيرهم على الأمن والسلام فيها، يأمرهم بالخير، وينهون عن الشر ، نعم، هذه وظيفة الحكومة، لكن، إذا قصرت، لا بد أن يتطوع مجموعة من الناس، ولا بأس أن يكونوا من عائلة واحدة، لأن رابطة الدم أقوى من أي رابطة سياسية، أو اجتماعية، أو اقتصادية، أو فكرية». حتى فيتوني أورلاندو، رئيس وزراء سابق في إيطاليا، قال سنة 1925: «أفتخر بأني مافوسو ، ومافوسو، للذي لا يعرف، معناها الشرف، والنبل، والكرم»..

المافيا جهاز معقد، يعتمد على ارتباطات عائلية معقدة يوجد على رأس كل عائلة عراب (مثل الأب الروحي، أو الجد الكبير)، ثم «رئيس تنفيذي»، وهو عادة أكبر الإخوان، ثم مستشارون «غير متفرغين»، ثم مسئولون عن الشركات (لإجبارها على دفع «تبرعات» لحمايتها)، ومسئولون عن نقابات العمال (للتغلغل فيها، والسيطرة عليها، وابتزازها). وهناك «كابتن» على رأس كل «فريق عمل»، وهناك «الجنود» الذين ينفذون الأوامر. ينتمي كل هؤلاء إلى العائلة: أعمام، وأخوال، وأولاد أعمام، وأولاد أخوال، وأصهار، وأرحام.

لكن، هناك حلقات خارج العائلة، «أجانب»، وليسوا من أصل ايطالي، ينفذون عمليات توصف بأنها «غير لائقة بسمعة العائلة» (وكأن القتل لائق بسمعة العائلة). يعمل هؤلاء في مجالات مثل الدعارة، للاكتساب منها، وإرسال «الأرباح» إلى «المافيا».

2-1 - فلسفة التاريخ الاجتماعي:

خريطة المناطق التي تسيطر عليها المافيا كبيرة في ايطاليا والواقع أن كثيرا ما يرتبط بها من الولادة لذلك من الصعب مكافحة المافيا ، لأنها ظهرت لحماية الناس ، من أجل الاستقلال وضد السيطرة الأجنبية و القوى الخارجية ، خاصة عند زوال مفهوم الدولة و الشعور بالعزلة ، والفقر ، والعبودية ، وزيادة عدم الثقة وخلق فراغ في السلطة المركزية بالإضافة إلى انتشار البيروقراطية المفرطة (**excessive bureaucratic power**) ، و قوة و إمكانات الأوق غير المشروعة (**illegal markets**) ، و أصبحت المافيا السلطة الموازية (على أساس نظام من الإشارات والإقطاعيات القديمة) ، و هذا على أساس أن المافيا كان الهدف منها الدفاع عن الضعيف ضد القوي (4) و إنشائها للمشاريع التي تعتمد على وضع الاستراتيجيات الاقتصادية الرشيدة والسعي المستمر للابتكار (5)

أما بالنسبة لتاريخ المافيا الايطالية فقد مر بعدة مراحل :

-استخدام "**mafiusi**" ، (المافيا) قبل 1812، كانت نوع من الحراسة، وتقديم الخدمات، قادرة على التطبيق والحماية.

-إلغاء النظام الإقطاعي في 1812، و هذا أدى إلى تغييرات كبيرة شملت التحرر التدريجي من الارستقراطية ، و نقل ملكية الأراضي من النبلاء "**capeddi**" أو "**gabelotti**" "**gabelous**" ، و عهد بها إلى إدارة الصناديق اللاتينية ، لجمع الأعشار والإيجارات.

- استخدام نظام "**cosche**" (عشيرة) ، و الذي يقوم فيه المالكين الجدد باستخدام "**squadre**" (الميليشيات الخاصة) ، التي لا غنى عنها لتحقيق السيطرة على الأراضي، بالإضافة إلى واجبات أخرى لهذه النقابات أو النوادي و هو إدارة حركة المرور من الماشية، وعرض وساطة (بين لصوص وضحايا السرقة ، وغالبا ما بين العمال والمزارعين والملاك الجدد) ، و حل المنازعات ، و حماية السكان من فساد الموظفين العموميين.

و استخدام منهجية العنف، من أجل التغلب بنجاح على أي نوع من الصراع مع هيئات الدولة ، احتراماً للأخلاق التقليدية، وخاصة الأسرة ، و واقع المافيا ، أنه يمزج بين التقاليد المحلية واللصوصية ، وأحياناً يخلط بينها ، كما أراد أعضاء المافيا تمديد القوى التي تلقوها من طريقة كبار ملاك الأراضي من خلال تحديد أسعار المحاصيل والأراضي ، و تنظيم التجارة المباشرة بين المنتجين والتجار، و توظيف العمال ، للوصول في النهاية إلى السيطرة على السكان والحياة الاقتصادية .

- بعد توحيد إيطاليا في 1860 ، تم الانتهاء من عملية إضفاء الطابع المؤسسي على المافيا و تغلغت المافيا في إطار المؤسسات القانونية (إضفاء الشرعية على سلطة المافيا) من خلال التقليل من ظاهرة المافيا من قبل الحكومة المركزية، و بدء سريان الاتفاقات التي تم التوصل إليها بين السياسيين والمافيا على المستوى المحلي (في إطار المسائل الانتخابية، و مسألة إدارة تحصيل الضرائب، وإمكانية التأثير على الشؤون المالية للبلديات والشرطة)، و استخدام "cosche" لإنهاء ظاهرة اللصوصية .

- خلال الفترة الفاشية ، و في ماي 1925 أصبح بنيتو موسوليني (رئيس الدولة الإيطالية) حيث أصبح يساوره القلق إزاء مدى القوة والتسلط التي تملكه المنظمة ، و قرر تدميرها حيث بين عام 1925 وعام 1929 ، بدأت حملة للقضاء على نشاطات المافيا .

وعلى مستوى القمع ، قامت الشرطة بمصادرة الموجودات ، و اقتلاع الأراضي التي تسيطر عليها المافيا ، حيث قام محافظ الفاشية سيزار موري باللجوء للاعتقالات الجماعية ، و التعذيب و الإكراه ، و بدأ القمع يعزز مسألة نشر المافيا خارج جزيرة صقلية إلى كل إيطاليا و هذا ما جعل بعض قادة المافيا الصقلية للتفكير في الهجرة للعالم الجديد (مرافقة الشتات إلى العالم الجديد) مثل **américain Joseph BONANNO** (جو الموز)، وسالفاتوري لوتشيانا (ويعرف أيضا باسم "فرانكي" أو "لاكي لوتشيانو) الفارين من قمع الفاشية بالفرار إلى الولايات المتحدة الأمريكية .

- هبوط الحلفاء في صقلية ، في يوليو 1943 تم إعداد أول هبوط للحلفاء ، حيث قام الأمريكيون بإطلاق سراح أفراد العصابات الصقلية من السجون ، و هذا لتدريب مجموعات المقاومة ضد الفاشيين لتسهيل الهبوط ، ثم غزو صقلية.

- وبعد الحرب العالمية الثانية ، في سنوات ما بعد الحرب ، أصبحت المافيا هي السلطة نفسها ، "الكوزا نوسترا" (الأمر الذي يهمنا) تؤكد دورها بوصفها منظمة داخل النسيج الاجتماعي ومتعددة الوظائف ، وبعد الإصلاح الزراعي لعام 1950 ، تحولت الكوزا نوسترا ، واجتذبت أشكال جديدة للربح (البناء، والمشتريات العامة ...)

و أصبحت المافيا ملتزمة بصفقتها وسيط لجهود إعادة إعمار إيطاليا في مرحلة ما بعد الحرب خاصة إنشاء المؤسسات السياسية الجديدة ، البناء، والسوق العامة والمشتريات الحكومية، من خلال فرض رشاوى على رؤساء الشركات لإدارة المشاريع ،و هذا كله بالاعتماد على أساليب فعالة ل"تثبيط" المنافسة واحتكار التمويل العام كما أصبحت خلال هذه السنوات العلاقة بين المافيا والأحزاب السياسية وثيقة بصفة خاصة.

- ابتداء من أواخر 1960 ، أصبح تهريب التبغ والاتجار بالمخدرات من أهم نشاطات تنظيمات المافيا، و هذا الأمر ساعد في التدفق الكبير للنقد، و تعزيز قدراتها الإجرامية .

- المافيا و الدولة الإيطالية ، في هذا السياق فإن المافيا نادرا ما هاجمت الدولة الإيطالية ، لأنها تحي داخلها، إلا في حالات انتهاك تقاليدها ، وأمام هذا التوسع الكمي والنوعي للظاهرة المافيا ، التنفيذية والتشريعية وفقا للقانون ظهرت ضرورة التصفية (الاغتيالات) لبعض إدارات الدولة للاستيلاء على السلطة (6)

3-1 - خصائص البنية الاجتماعية في إيطاليا

إن قوة تنظيمات المافيا الإيطالية و قدرتها على الاستمرار و التجذر في المجتمع الإيطالي، بالإضافة لتطور علاقاتها عبر الوطنية، مرتبط أساسا بطبيعة البنية الاجتماعية للمافيا و التي تتميز بخاصيتين أساسيتين

- تزايد و ارتفاع نسبة الإجرام في جنوب إيطاليا : حيث ما بين 1890 - 1893 كانت نسبة جرائم السرقة (ROBBERY) و القتل (MURDER) كما هو مبين في الجدول الآتي:

	MURDER القتل	ROBBERY السرقه
CALTANISSELTA	%42,76	%26,24
GIRGENTI	%66,87	%47,04
PALERMO	%32,07	%22,22
NAPLES	%27,97	%16,75
CATANIA	%26,21	%21,22

و ما بين 1902 - 1906 ارتفعت نسبة جرائم السرقة (ROBBERY) و القتل (MURDER) فيما هو مبين في الجدول الأتي (7) :

	MURDER القتل	ROBBERY السرقه
CALTANISSELTA	%44,52	%41,41
GIRGENTI	%38,75	%46,80
PALERMO	%29,06	%33,65
TRAPANI	%26,12	%76,84
CATANIA	%13,87	%24,76

- التنوع الطبقي الاجتماعي ، حيث يتكون المجتمع الايطالي من بنية طبقية متنوعة من خلال تقسيمها إلى طبقتين رئيسيتين،

الأولى تتمثل في شعب البلد أي المدينة أو العواصم و تتكون من عدة مستويات على رأسها النبلاء و البارونات و الأغنياء و البرجوازيين و رجال الدين ثم يأتي الفنيون المدنيون ثم الحرفيين، أما الطبقة الثانية فهي سكان الأرياف التي تتكون من المزارعين و الفلاحين و العمال و الرعاة (8)

2 / المبادئ الاجتماعية للمافيا الإيطالية

المافيا هو مجتمع سري وليس عصابة ، كما لا يأتي عن طريق المحسوبة ، و يحوي على عدة قواعد وقوانين و هذا ما يميز المافيا عن العصابة الإجرامية العادية و تكون هذه القوانين غير مألوفة.

2-1- الضبط الاجتماعي

بالنسبة للمافيا الصقلية تطبق بشكل صارم الكاثوليكية ومكرسة لعبادة العفة والحياء من النساء ، بل حتى لها القديسين كما تتجنب المافيا القتل يوم الجمعة ، كما تعتمد المافيا على مبدأ "الإقليم" أي التجذر في المدينة ، الحي ، الشارع الذي تقيم به ، والتحرك يكون لأقل قدر ممكن و على الفرد العيش والموت في نفس الموقع بالإضافة إلى أهمية علاقات الجوار التي هي أساس الحياة . كما تمارس المافيا خدمة اجتماعية ذاتية و هي وجود زواج الأقارب و هذا للسيطرة على كل الأعمال بالإضافة إلى الرقابة الصارمة، لقياس مدى توافقها مع معيار الوفاء، وتمتد هذه السيطرة إلى الآباء والأمهات والأقارب.

2-2- الاغتيالات

المافيا الصقلية تقتل ، أحيانا كثيرة ، ولكن عادة كملاذ أخير ، وما قاله ويؤكدده **Brugge Man** ، نائب مدير الشرطة الأوروبية ، والجنائية : " منظمات المافيا تعتمد في المقام الأول على الفساد والتخويف ، وليس العنف الذي يستخدم ضد الأفراد والمؤسسات ، الخاصة والعامة على السواء ، لأن العنف يجعلها مرئية وتكشف طبيعتها الخطرة للرأي العام أما الفساد والتخويف فيسمح للمافيا بتحقيق أهدافها في ظل خطر أقل " .

لذلك فإن المافيا لا تقتل بالعاطفة أو عن طريق الصدفة (العشوائية) ، على العكس من ذلك يجب توافر شروطا مسبقة ، بالإضافة إلى قواعد و بروتوكولات :

- بالنسبة لأي مخطط اغتيال يجب اعتماد موافقة من رئيس الإقليم ، بعد إشعاره بمخطط القتل .

- وبالنسبة لاغتيال أحد أفراد المافيا "رجل شرف"، يجب موافقة لجنة المقاطعة و هو المطلوب بعد إشعاره .

- من الذي يقتل؟ القاتل (الجندي) يجب أن يكون من ضمن مافيا الأسرة، والجميع يجب أن يكون قادرا على ارتكاب جريمة القتل.

- طريقة القتل؟ " عادة الضحية يكون قد اتصل بها صديق له ، الذي يبدد كل الشكوك ، ومهدئ للأعصاب يسهل الوصول إليها و يجعلها تحت التصرف خاصة عند علم الأسرة ، من خلال رئيسها ، أن الجندي سيقتل أحد أصدقائه وأنه لا يشعر بالشجاعة لتنفيذ القتل ، لذلك تقوم الأسرة بدعم بعضها البعض، في مساعدة المسلح لقتل الضحية دون إثارة الشكوك ، على وجه التحديد مع الأصدقاء ، واستغلال الثقة التي هي جزء من علاقة الصداقة .

-من الذين لا يقتلون ؟ إن الدقة مطلوبة في مسائل الاغتيالات عند المافيا الإيطالية ، حيث هناك مجموعة من القواعد التي طبقت منذ القرن التاسع عشر حتى أواخر القرن العشرين (قواعد المافيا التقليدية) ما زالت سارية المفعول وهذه القواعد التي تشمل (لا يقتل الأبرياء من النساء (أخوات وزوجات ، بنات ،... إلخ.) المدانين من المافيا بالقتل)، و لا يقتل أطفال المدانين من المافيا بالقتل ، ولا يتعامل مع أفراد الدولة (حراس السجون، والشرطة، وموظفي المحاكم، وما إلى ذلك).

2-3 - الأسرة

تمثل الأسرة للمافيا التقليد القائم و القديم في ثقافة منطقة البحر الأبيض المتوسط ، حيث أنها كل شيء و تمثل المافيا التقليدية الصغيرة ، و تتكون من رب الأسرة " الممثل " وهو واحد من جنود المافيا العشائر ، التي اختارها نظرائه و عليها إطاعة الأوامر ، وإذا كان " الممثل " غير قادر على أن تأدية مهامه و سلطاته ، يمارس السلطة ، رجل آخر يحل محله ، كما أنه يقع تحت طائلة الموت ، الأسرة ، أو واحد من جنودها يتدخل أو يعمل في أسرة أخرى ، بالإضافة إلى ذلك فتميز أسر المافيا الإيطالية بالقوة و كثرة العدد و توزعها في إقليم معين في شكل تكتل قوي عكس ذلك نلاحظه في المافيا الأمريكية التي تتميز بقلة الأسر المافياوية وتوزعها العشوائي والغير المنظم (9)

4-2 - رجل شرف (men of respect)

وهناك "قواعد" لا بد أولاً وقبل كل شيء لرجل الوفاء أن يلتزم بها ، حيث يجب عليه أن لا يكشف عن عضوية أي شخص من المافيا (تحت طائلة الموت) ، أو غير المافيا (العملاء ، كاهن الاعتراف) و هذا على أساس لغة المافيا بمصطلحها الكوزا نوسترا ("الشيء لنا") ، و أن لا يكتب أي شيء على الإطلاق عن المافيا.

بالإضافة إلى الامتناع عن القيام بعلاقات خارج العلاقات الزوجية حيث تعتمد المافيا على القاعدة : "بالنسبة للمافيا ، هو اختيار امرأة تتخذ كزوجة وأم لأطفالهم ، يعني أن تبقي إلى الأبد... " ، و الامتناع عن إدمان الكحول ، فالسكر يمنع منعاً باتاً في جميع الأوقات للمحافظة على ضبط النفس والكرامة خوفاً من إفشاء أسرار المافيا، و الامتناع عن القيام بعمليات الإقراض بفوائد فاحشة (10)

أما بالنسبة لرجل الوفاء والأعمال التجارية فإن المافيا ليست مهنة لذلك للمافيا الحرية التامة في العمل ، و هذا في إطار ميثاق الشرف ، بطبيعة الحال فإن المافيا تعترف بحرية مطلقة لأعضائها للقيام بالأعمال التجارية فيما بينها أو مع الغرباء و لا يمكن لها إجبار رجل الوفاء لشراء أو بيع لأحد لذلك تكون المنافسة حرة ، شريطة ألا يضر بالمصالح الخاصة برجال شرف آخرين .

أما بالنسبة لرجل الوفاء والسياسة فإن المافيا لا تتلون بأي لون سياسي معين، بل يختار وفقاً لمصالح المنظمة حيث تعتمد على مرجعية وحيدة وهي الفكرة التي تخدم مصالحها (مبدأ الانتهازية) ، بالإضافة إلى بعض الخصائص منها أنه يمكن لرجل الوفاء أن تكون له اتصالات ، بمسافة محدودة ، مع الشرطة أو القضاة ، للفساد وجمع المعلومات الاستخباراتية ، كما لا ينبغي له أبداً تقديم شكوى إلى الشرطة أو العدالة ، إلا لأسباب أمنية ، هي سرقة سيارته ، أما بالنسبة لأعضاء المافيا المسجونين فإن " الممثل " يزور جنوده في السجن لتغطية تكاليفهم ، وإعالة أسرهم .

بالإضافة إلى الالتزام بقانون الصمت (**omerta**) ، التي يمثل عملية الزجر و هي التزام الصمت (**the obligation of silence**) ، بل وأكثر فإن قانون الصمت هو طريقة للحياة وثقافة (11)

5-2 - التجنيد

يحظر على بعض الفئات الدخول للمافيا من أبناء رجال الشرطة أو القضاة، و الأبناء غير الشرعيين، أو ابن لوالدين مطلقين، و ابن من أبوين شيوعيين أو حتى ناشطين في هذا المجال ، ثم أن الوافد الجديد يخضع لطقوس للبدء ، حيث يأخذ لمكان منعزل في وجود ثلاثة من رجال الشرف ، حيث تقطع أو تخرج بعض أصابعه أو يوسم برمز المنظمة وجعل دمه ينزف على صورة للقديس وعلى الوافد الجديد أن يتحمل الألم ، و أن يقسم بعدم الخيانة ، ثم يعرض الوافد للاختبار الأول و الذي غالبا ما يكون الشروع في القتل و عليه التنفيذ من دون أي تردد ، وتعتبر على أنها علامة على طاعة الأوامر التي لا تناقش على الإطلاق.

6-2 - التنظيم الداخلي

المافيا الإيطالية منظمة في هياكل هرمية مع قمة ومركز، تحكمها الهيئة الإدارية للرابطة ، وتتوزع غالبا في جنوب إيطاليا في مناطق متفرقة ، وتحكمها سلطة عليا هي "اللجنة الإقليمية" و الجزيرة مقسمة إلى الإدارات ، أو المقاطعات ، وتشارك في هذه اللجنة ، مباشرة مبعوثين من "الأسر" في اللجنة الإقليمية .

و تناقش جميع القضايا الإستراتيجية (حسب نوع المنظمة) في اللجنة الإقليمية و تعتبر قراراته نهائية و تنفذ بأي ثمن ، كما تقرر اللجنة مسألة إعادة تنظيم انتماءات المافيا و إقرار عقوبات ضد المافيا، و لا يخرج نطاق العقوبات عن :

- " النفي " (استبعاد) وهو نهج يتخذ ضد عضو من أعضاء المنظمة ، لم يعد يمكن التحدث معه، الحل الوحيد هو المنفى.

- و في كثير من الأحيان ، تحكم المافيا عليه بالإعدام بإطلاق النار عليه .

بالإضافة إلى اضطلاع اللجنة الإقليمية بلجنة لتسوية المنازعات ، وتنظيم ومراقبة تسهيل العلاقات بين الأسر وداخلها ، كما توافق اللجنة على تعيين أعضاء جدد واختيار الرؤساء الجدد للأسر .

فالمافيا إذا هو جهاز مقعد للغاية في بناءه فيبدأ تكوينه بما يسمى العائلة والتي تمثل نواة المافيا وهي عبارة عن عصابة من المجرمين تجمعهم رابطة الدم أو الزواج أو أحيانا مجموعة من الأصدقاء وعادة يكون لكل عائلة ما يميزها من نشاط إجرامي عن غيرها من العائلات الأخرى وزعيم العائلة هو أقوى أفرادها وأجدرهم بالقيادة ويتم اختياره بموافقة باقي الأفراد .

ثم تأتي بعد ذلك المرحلة الثانية في البناء حيث تنضم بعض العائلات المتشابهة في النشاط إلى بعضها لتكون معا وحدة أكبر أو عائلة أكبر يتزعمها أقوى الأفراد من مجموعة العائلات الصغيرة .

ثم يلي هذه المرحلة انضمام هذه العائلات الكبيرة إلى عائلة واحدة يتزعمها أقوى الزعماء من كل العائلات، وأخيرا يخضع هذا الجهاز بأكمله إلى القائد الكبير لمنظمة المافيا وأحيانا قد يشارك في قيادته أكثر من قائد ممن يشهد لهم بالكفاءة والتاريخ العريق .

ويتميز أيضا جهاز المافيا بجانب تركيبه المعقد بالطاعة الشديدة والولاء للرؤساء وقد كانت الغاية الأولى كما أسلفنا هي الدفاع عن الشرف وتمجيد الأجداد ويأتي بعد ذلك في المرتبة الثانية جمع المال واغتنام الثروات.

2-7 - صناعة الحماية الشاملة

قامت المافيا الإيطالية بمزج الفلسفة الليبرالية بمسألة العقد الاجتماعي خاصة و أن الدولة كانت بدائية و اتسمت بالعنف وانعدام الأمن ، بدأت تحدد خصائص النموذج الاقتصادي للمافيا، نتيجة لفشل الدولة التي لم تكن قادرة على أداء دورها بوصفها حامية للسوق ، وضمان الشفافية واستقرار التجارة و حماية حقوق الملكية.

وهذه واحدة من الافتراضات التي تقوم عليها نظرية أن المافيا تعمل على صناعة الحماية حيث تقوم باستخدام تقنيات التكيف واستخدام الأدوات "الاستثنائية" (التهديدات والعنف والفساد) وقانون التخويف و هذا كله يدخل في إطار السيطرة على القطاع العام من خلال السيطرة على الموظفين في مختلف المجالات (12)

وبهذا المعنى ، فإن المافيا ، في جوهرها ، تتخذ الشكل الرأسمالي و هي شكل من أشكال البرجوازية من خلال اتخاذها نموذج مافيا الأراضي، الذي اتسم ب "ثقافة الشرف" حيث تروج لقيم ثقافة الفلاحين ، ولكن الشرف الذي يتحدث عنه في هذه الفترة لا يعني الهيبة التي تقوم على احترام القيم .

ولكن الاعتراف بالدور الاجتماعي للمافيا على أساس أن الأرض هي المافيا لذلك وجب التنافس على ملكية الموارد ، لتحقيق هذه الغاية ، أما الأعمال الحرة فهي تشمل "حماية وتنظيم السوق" من خلال احترام العقود ، وحماية الأشخاص ، الملكية الخاصة ، وتداول البضائع ، دون أن ننسى تنظيم سوق العمل و هذا كله في إطار استحداث ثقافة المؤسسة (**entreprise culture**) من خلال استخدام أسلوبي الإدماج (**inclusion**) و الإقصاء (**exclusion**) (13).

كما أن أهم مشاريع المافيا هي صناعة الحماية الخاصة ، من خلال استبعاد كل الأشخاص الآخرين في عملية الإنتاج ، و هذا من خلال أن المافيا تحمي عملائها بوصفها وكالة متخصصة ، لهذا فإن المافيا احتكرت قاعدة صناعة العنف و الحماية ، والفرق كبير بين النظرية والتاريخ ، أي بين النموذج المعياري للدولة ومسألة حماية السوق للمافيا .

بالإضافة إلى توسيع نفوذها في القطاعات الاقتصادية الأخرى ، وتأكيد سيادة العنف من خلال تنظيم سوق العمل والتقارير المقدمة من المنافسة وهي قادرة على الاعتماد على استخدام العنف والتخويف التي هي من أهم أدوات السلطة و الاقتصاد و هذا كله من أجل تفعيل إرادة الهيمنة **the will to power** (14)

بالإضافة إلى تواجد المافيا الاستثمارية و قدرتها على التكيف خاصة في فترة ما بعد الحرب ، من دعم التنمية المحلية و إعادة إعمار إيطاليا و امتلاكها شبكة واسعة من المؤسسات الصغيرة والمتوسطة الحجم ، و هذا كله يدخل في إطار علاقة المافيا بالدولة الإيطالية الطويلة في مجال تقاسم السلطة في تراب إيطاليا خاصة (15) و ضلوعها في إضفاء الشرعية على ممثلي الدولة و الحكومة ، بالإضافة إلى علاقتها الوطيدة مع الشعب الإيطالي في كل مجالات الحياة ، عكس ما هو موجود في أمريكا.

3- منظمات المافيا الرئيسية في إيطاليا :

يشمل مصطلح "المافيا الإيطالية" المنظمات الخمس الرئيسية التي تتقاسم السيطرة على جنوب إيطاليا، و هي منظمة الكوزا نوسترا ، و منظمة لاستيدا، و منظمة ندرانجيتا، و منظمة ساكرا كورونا يونيتا، و منظمة الكامورا.

3-1- منظمة الكوزا نوسترا Cosa Nostra

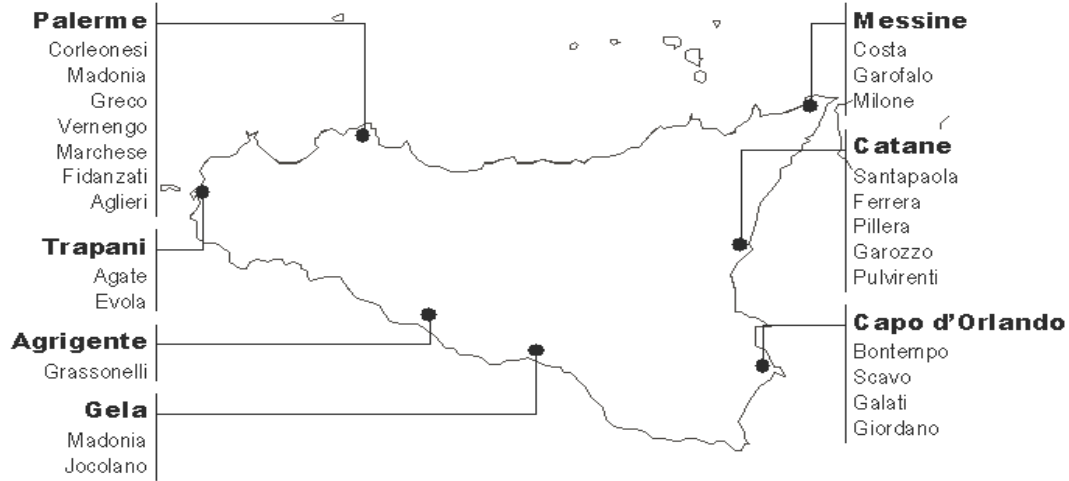
الكوزا نوسترا موجودة في صقلية وهي أكبر منظمة إجرامية في إيطاليا و أوروبا ، ويوجد لدى المنظمة فروع في ألمانيا وفرنسا وسويسرا وبريطانيا وروسيا وكندا والولايات المتحدة ، و لها بنية هرمية شبه عسكرية ، وقواعد واضحة للسلوك له مكاتب رئيسية في جزيرة صقلية (باليرمو ، تراباني ، **Agrigento ، Marsala** ، كاتانيا) ، و الكوزا نوسترا ولدت في غرب صقلية في بداية القرن التاسع عشر أصولها ترتبط ارتباطا وثيقا بالهيمنة على هيكل الإنتاج في صقلية.

ومن أول الأسر التي ظهرت رسميا في 1837 في المنطقة (أسر تراباني) حيث ظهرت باعتبارها ميليشيات خاصة من أرباح التشغيل من ملاك الأراضي من أجل جمع مختلف الرسوم في صقلية ، وهي أول الأسر التي هاجرت إلى الولايات المتحدة في أوائل القرن العشرين خلال الفترة الفاشية .

وهي تتألف من "الأسر" (cosche) التي تجمع في مجموعات إقليمية، حسب الموقع الجغرافي (حي، المدينة، المنطقة) و رب الأسرة (sottocapo) ، ومستشاريه (consiglieri) والزعماء المحليين (capidecina) التي تسيطر على بعض "رجال الشرف" (picciotti) ، المعينة لهذا الغرض و المكلفة بجمع عائدات الابتزاز (pizzu) .

و في صقلية ، يوجد ما يقرب من 150 أسرة ، ويقدر ب 4 000 عضو دائم تدير سنويا نحو 15 مليار دولار للأنشطة غير مشروعة أما في الولايات المتحدة ، فقد بلغت 170 مليار دولار(16).

Implantation des principales familles de Cosa Nostra

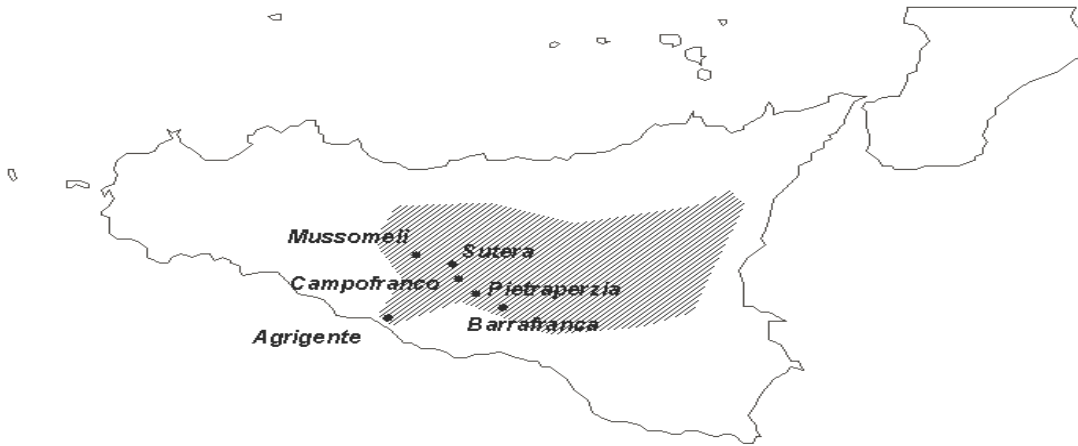


Source : www.fionline.it/mafie/cosano/index.htm

2-3 - منظمة لاستيدا LA STIDDA

تنظيم من منطقة **Agrigento** في صقلية على الرغم من الجذور التي تبدو قديمة جدا ، هي من بعض المنشقين عن الكوزا نوسترا ، و أعضاء مجلس **Stidda** مخصصة لأعضائها **"Stiddari"** أو **"Stiddaroli"** من خلال الوشم الذي يتألف من خمس نقاط موضوعة في دائرة بين سبابة والإبهام.

Implantation de la Stidda



Source : www.fionline.it/mafie/cosano/index.htm

3-3 – منظمة ندرانجيتا Ndrangheta

منظمة إجرامية ولدت في القرن التاسع عشر في كالابريا ، حيث تحوي نحو 155 أسرة (cosche) ونحو 6 000 فرد هيكلها يقوم بالدرجة الأولى على الأسرة من الدم ، كما تعتمد كذلك على تحالف بين "العائلات" في كثير من الأحيان نتيجة الزواج و كل عائلة تعمل في مجالها الخاص بحرية ، و من أنشطة ندرانجيتا أساسا تهريب الأسلحة وتهريب المخدرات والخطف والابتزاز، و هذا من خلال احترام الترتيب داخل المنظمة:

Grades de la 'Ndrangheta

Quintino	Le rang le plus élevé de l'organisation.
Vangelo ou Vangelista	Membre ayant juré fidélité à l'organisation sur l'évangile.
Santista	Membre de l'organisation ayant obtenu la « santa », ou reconnaissance de ses « mérites ».
Camorrista	Chef local de quelques <i>picciotti d'onore</i> , dans un petit village ou dans un quartier.
Picciotto d'onore	Premier « vrai » grade de l'organisation. Il désigne les exécutants de petites besognes.
Giovane d'onore	Désignation du jeune qui, par naissance, appartient à la « famille ».
Sorella d'omertà	Désignation donnée aux femmes qui participent aux activités de la « famille ».

Implantation de la 'Ndrangheta



3-4- منظمة ساكرا كورونا يونيتا **Sacra Corona Unita**

منظمة إجرامية ، تركزت في بوجليا و ظهرت نتيجة لمحاولات تمديد سيطرة عصابة الكامورا في بوجليا في أوائل الثمانينات ، وهكذا تم خلق عصابة الكامورا في عام 1981 من قبل لاليني بينو و اليساندرو فوسكو ، و يوم 25 ديسمبر 1983 جوزيبي روكول أسس ساكرا كورونا يونيتا من السجن في ليتشي.

Implantation des clans de la Sacra Corona Unita



Source : www.flonline.it/mafie/cosano/index.htm

3-5- منظمة الكامورا **Camorra**

منظمة إجرامية في منطقة نابولي ، ولدت في أوائل القرن التاسع عشر تنتشر المنظمة إلى حد كبير في المناطق الحضرية ، حاولت التوسع في اتجاه بوجليا وأنجبت ساكرا كورونا يونيتا ، وتتألف من 111 أسرة ، أما الهيكل الداخلي للأسر من عصابة الكامورا ليست رسمية ، حيث بذلت عدة محاولات لاكتشاف هيكلها الحقيقي لكن دون جدوى .

الخاتمة:

و في الأخير يجب أن ندرك أن المافيا كتنظيم إجرامي شكل من أشكال الاحتجاج ورد فعل اجتماعي ، تجذرت داخل المجتمع ليس نتاج غياب الدولة ولكن ضعفها في مراحل معينة ، جعل المافيا قوة جديدة أخذت مركزا كشخص من أشخاص المجتمع ، ونتيجة تبلور هيكلها ونشاطاتها وقدرتها على التكيف القانوني والتفاعل الاجتماعي اكسبها قدرة على المراوغة القانونية ، مما جعل من

الصعب على أجهزة إنفاذ القانون اجتثاثها إذ من المعروف لا يمكن أبدا القضاء على الجريمة وكذا التنظيمات الإجرامية ، لذا كان التعامل معها من قبل الدولة بنوع من الحذر القانوني لضمان استقرار داخلي .

وفي هذا السياق ، وفي ظل عدم الاستقرار ، فإن الدولة سوف تؤدي إلى الاعتراف بالأمر الواقع إلى المافيا باثنين من المهام الرئيسية ، على الواقع الاجتماعي والسياسي للمافيا :

1- " البعد العملي للمافيا " الذي يمارس السلطة على المستوى المحلي مع توافق الآراء مع السلطة الرسمية .

2- هو القدرة على صناعة الحماية الخاصة ، صناعة العنف وحماية معا .

كما أن بيئة المجتمع الايطالي ، هو الأساس لتنمية المافيا من خلال التخلف الاجتماعي و الثقافي و عجز الدولة عن ضمان الحماية الفعالة للأشخاص و ممتلكاتهم و انعدام سلطة هرمية واضحة بالإضافة لانتشار النزعة الفردية و التجزئة وعدم التماسك، و انعدام الموقف المشترك والتعاون وعدم وجود شعور بالتضامن الجماعي و التوزيع غير المتكافئ للثروة وعدم وجود مفهوم المساواة في الحقوق بين الجميع ؛ وهيمنة السلطة الشخصية .

كما أصبحت المافيا جزءا أساسيا من التركيبة الاجتماعية الإيطالية في وقت مبكر 1800 - 1900 ، و هي التي تعايشت مع المجتمع والقوانين الرسمية ، على عكس أشكال الإجرام الأخرى ، كما أن المافيا لم تحاول تبديل المجتمع ، خلافا للثورات الأخرى بل تكاملت مع المجتمع نفسه .

و أصبحت المافيا ضرورة في المجتمع الايطالي ومن الصعب التخلص منها ما دام أنها من المعتقدات الثقافية كما أصبحت قادرة على التأثير في سلوك الأفراد و السلطة من خلال نظام قوي للمعتقدات .

1) DINA SIEGEL, HANS NELEN, studies of organized crime, culture, markets and policies , 1979 , P 16.

(2) الجريمة المنظمة الإيطالية، نظرة عامة، موقع: http://www.fbi.gov/about-us/investigate/organizedcrime/italian_mafia

3) HENNER HESS, mafia and Mafiosi, origin, power and myth, Crawford house publishing, Australia Adelaide, NYU press, 1999 , P 10.

4) GIANLUCA FIORENTINI, the economics of organized crime, Cambridge university press, 1997, P35.

5) - ظهرت ضرورة التصفية (الاغتيالات) لبعض إدارات الدولة للاستيلاء على السلطة ، منهم: العقيد جوزيبي روسو ، آب / أغسطس 1977 ، و أمين المسيحية الديمقراطية في باليرمو ، ميشيل رينا في آذار / مارس 1979 ، و المفتش ورئيس مكافحة العصابات لواء بوريس جوليانو في تموز / يوليه 1979 ، و قاضي (عضو لجنة مكافحة المافيا) سيزار تيرانوفا عضو الكونغرس ، في أيلول / سبتمبر 1979 ، و المدعي العام لمحكمة باليرمو، غايتانو كوستا ، 1980 ، و رئيس منطقة صقلية ، الديمقراطي المسيحي ، MATARELLA Piersanti في كانون الثاني / يناير 1980 ، و كابتن الشرطة العسكرية ، ايمانويل باسيلي ، في أيار / مايو 1980 ، و عضو من منطقة صقلية بيو لا توري (لعرض مشروع قانون مكافحة المافيا) في نيسان / أبريل 1982 ، و خمسة درك وطبيب الشرعي ، ربيع 1982 ، والمحافظ dalla Chiesa ، في أيلول / سبتمبر 1982 ، بالإضافة إلى (كبير قضاة التحقيق في باليرمو ، Chinnici roco ، الكاتب كاتانيا جوزيبي فافا ، الصحفي برونو كاسيا ، عضو مجلس الشيوخ والصناعة) .

6) VINCENZO RUGGIERO, NIGEL SOUTH and LAN TAYLOR, The New European Criminology, Crime And Social Order In Europe, Rout ledge , 1998 , P 6.

7) HENNER HESS, mafia and Mafiosi, origin, power and myth, op.cit , P 26.

8) HENNER HESS, mafia and Mafiosi, origin, power and myth, op.cit , P 38.

9) LETIZIA PAOLI, Mafia Brotherhoods organized crime, Italian style, Oxford University press US, 2003 , P 9.

10) DINA SIEGEL, HANS NELEN, studies of organized crime, culture, markets and policies, op.cit , P 8.

11) LETIZIA PAOLI, Mafia Brotherhoods organized crime, Italian style, op.cit , P 108.

12) GIANLUCA FIORENTINI, the economics of organized crime, op.cit , P 21.

13) VINCENZO RUGGIERO, NIGEL SOUTH and LAN TAYLOR, The New European Criminology, Crime And Social Order In Europe, op.cit , P 2.

14) DINA SIEGEL, HANS NELEN, studies of organized crime, culture, markets and policies , op.cit, p 18.

15) LETIZIA PAOLI, Mafia Brotherhoods organized crime, Italian style, op.cit , P 8.

16) LETIZIA PAOLI, Mafia Brotherhoods organized crime, Italian style, op.cit , P 26.